بابُ العُجُز والمشايخ[1]

□ خيرُ نِصْفَي الرَّجُلِ ، وشرُّ نِصْفَي المرأة ! :

الأصمعيُّ قال : خاصم رجلٌ امرأتَه إلى زياد[2]، فكأن زيادًا شَدّد عليه ، فقال الرجل :

أصْلَحَ اللهُ الأمير ، إن خير نِصْفَي الرجل آخِرُهُما ؛ يذهبُ جهلُه ، ويثوب حِلمه ، ويجتمع رأيُه .

وإن شرَّ نِصفَي المرأة آخُرهما ؛ يسوء خُلُقها ، ويَحِدّ لسانُها ، وتَعْقُم رَحِمُها ؛ فقال : آسفع[3] بيدها.

□ نصيحة مجرب ! :

وقال بعض الأعراب :

لا تنكحَنّ عجوزًا إن دَعَوْك لها ... وإن حَبَوْك[4] على تزويجها الذَّهَبا
وإن أتوك وقالوا : إنها نَصَفٌ[5] ... فإنَّ أطيبَ نِصْفَيْها الذى ذَهَبَا

□ أعرابى يَضْجَرُ من طول حياة امرأته :

الأصمعى قال : ضَجر أعرابى بطول حياة امرأته فقال :

ثلاثين حولاً لا أرى منك راحةً ... لَهَنَّكِ فى الدنيا لباقية العُمُر[6]
فإن أُنْفِلتْ من حَبْلِ صعبةَ مَرّةً ... أكنْ من نساءِ النّاس فى بيضة العُقْرِ[7]

---

(١) العُجُز : جمع عَجُوز . والمشايخ : جمع شيخ وهو من أدرك الشيخوخة ، وهى غالباً عند الخمسين ، وهو فوق الكهل ودون الهرم .

(٢) زياد بن أبيه (ت ٥٣ هـ/ ٦٧٣ م) أمير من القادة الفاتحين من كبار رجال الدولة الأموية . ألحقه معاوية بنسب أبيه أبى سفيان بعد أن استدعاه إلى دمشق ، ولاه الكوفة بعد وفاة المغيرة بن شعبة ٦٧٠ م ومنها تفرد بحكم النصف الشرق للإمبراطورية العربية .

(٣) اسْفَعْ بيدها : خُذْ بيدها وفى التنزيل : ﴿ كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ﴾ [العَلَق : ١٥] .

(٤) حَبَوْك : منحوك وكافئوك .

(٥) نصف : وسط بين الحَدَثِة والمسنة . وقيل : النَّصَف التى بلغت الخمسين .

(٦) لَهَنَك : هى لأنك : اللام لام ابتداء .. وأبدلت همزة إنّ هاء .

(٧) بيضة العُقْر : بيضة يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود ، يضرب مثلاً لمن يصنع الصنيعة ثم لا يعود لمثلها !

□ أم عوف امرأة أبى الأسود :

وقال أبو الأسود فى امرأته أم عوف :

أبى القلبُ إلّا أُمَّ عَوْفٍ وحُبَّها ... عجوزًا ومن يُحْبِبْ عجوزًا يفَنَّد[٨]

كسَحْقِ[٩] اليمانىّ قد تقادَمَ عَهْدُه ... ورُقْعتُه ما شئت فى العَيْن واليَدِ

□ وقال آخر يُشَبِّب بعجوز :

عجوزٌ عَلَتْها كِبْرةٌ ومَلاَحَة ... وقَاتِلَتِى - يَالَلرِّجال - عجوزُ

عجوزٌ لو آنَ الماء مِلْكُ يمينها ... لما تركتْنا بالمياه نَجُوزُ

□ هل يُصْلِحُ العطارُ ما أفسد الدهر ؟! :

كانت لرجل من الأعراب امرأةٌ عجوز ، وكانت تشترى العِطر بالخبز فقال :

عجوزٌ تُرَجِّى أن تكون فَتِيَّةً ... وقد غارتِ العَينان واحْدَوْدَب الظهرُ

تَدُسُّ إلى العطّار سِلْعَةَ أهلِها ... ولن يُصْلح العَطّارُ ما أفسَدَ الدهرُ[١٠]

□ ذنب واحد ليس غير بعد صحبة خمسين عاماً ! :

طلّق أبو الجَنَدِىّ آمرأته ؛ فقالت له : بعد صحبة خمسين سنة ؟! فقال : مالك عندى ذنبٌ غيره !

□ أعوذ بالله ! :

وقال بعض الأعراب :

لا بارَكَ اللهُ فى لَيْلٍ يُقَرِّبنى ... إلى مُضَاجَعَةٍ كالدلك بالمَسَدِ[١١]

لقد لَمَسْتُ مُعَرّاها فما وقعت ... فيما لمستُ يدى إلا على وَتِدِ[١٢]

وكلُّ عُضْوٍ لها قرنٌ تصُلُّ[١٣] به ... جِسْمَ الضَّجِيع فيُضْحِى واهِىَ الجسد

---

(٨) يُفَنَّد : يُخَطَّأ ويُلام ويُجَهَّل على ما كان منه من حب عجوز !

(٩) سحق اليمانى : السَّحق : ما بلى وقدم من الثوب وغيره .

(١٠) ورد هذا البيت بلفظ :

تدسُّ إلى العَطّارِ سِلْعةَ بيتِها ... وهَلْ يُصْلِحُ العطارُ ما أفسد الدهر

(١١) المسَد : ليف النخل ، وفيه خشونة .

(١٢) مُعَرّاها : مالابُدّ لها من إظهاره . والوَتِد : ما يدق فى الأرض من خشب وغيره .

(١٣) تَصُلّ به : تصيب به .

□ أحلى الرجال من النساء مواقعًا ! :

وقال الطائى :

أحْلَى الرجالِ من النساءَ مَواقعًا ... من كان أشبَههمْ بهِنّ خُدُدَا

□ رأى خبير بالنساء ! :

● وقال امرؤ القيس :

أراهُنّ لا يُحْبِبْن مَنْ قَلَّ مالُه ... ولا مَنْ رأين الشيبَ فيه وقَوّسَا(١٤)

● وقال علقمةُ بن عَبَدَة :

فإن تسألونى بالنساء فإننى ... خبير بأدواء النساء طبيبُ
إذا شاب رأسُ المرءِ أو قلّ مالُه ... فليس له فى وُدِّهِنّ نصيبُ
يُرِدْن ثراءَ المالِ حيثُ عَلِمْنَه ... وشرخُ الشباب عندهُن عَجِيبُ

● وقال آخر :

أرى شِيبَ الرجالِ من الغوانِى ... كموضِعِ شِيبِهن من الرجالِ

● وقال آخر :

أيا عجبًا للخَوْدِ يجرى وِشاحُها ... تُزَفّ إلى شيخ من القوم تِنْبالِ
دعاها إليه أنه ذو قَرابةٍ ... فويلُ الغوانى من بنى العَمِّ والخالِ(١٥)

● وقال ذو الرّمة بخلاف قول الأول :

وما الفقر أزرى عندهن بوصْلنا ... ولكن جرت أخلاقهن على البُخْلِ

● وقال المرّارُ فى مثله :

وليس الغوانى للجُفَاةِ ولا الذى ... له عن تقاضى دِينِهِنّ هُمُومُ
ولكنما يستنجزُ الوعدَ تابِعٌ ... مُناهُنّ حَلاّفٌ لَهُنّ أثيمُ
وما جُعِلتْ ألبابُهُن لذى الغنى ... فييأس من ألْبَابِهن عَدِيمِ

□ عثمان بن عفان – رضى الله عنه – ونائلة ! :

كان عثمانُ بن عفّان – رضى الله عنه – تزوج نائلة بنت الفَرافِصَة

(١٤) قوّس : تقوس ظهره وانحنى .

(١٥) الخَوْد : الشابة الناعمة الحسنةُ الخَلْق ، والوشاح : نسيج عريض يُرَصّع بالجوهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها .والوشاح – أيضاً – خيطان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما . ويقال : امرأة جائلة الوشاح والوشاحين : هيفاء . والتنبال : القصير . والغوانى : الجميلات اللاتى استغنين بجمالهن عن الزينة .

الكلبيِّ – والفَرافصة يومئذ نَصْرانِيّ – و كان وليُّها مسلماً وهو أخوها ، فحملها الفَرافصة ، فلما قَدِمَتْ على عثمان ، وضع لها سريرًا وله آخر ، فقال لها عثمان :

إمّا أن تقومى إلىّ ، وإمّا أن أقومَ إليك ؛ فقالت :

ما تَجَشَّمْتُ إليك من عُرْضِ السَّمَاوةِ[١٦] أبعَدُ مما بيننا ، بل أقوم أنا ، فقامت حتى جَلَسَتْ معه على السرير ، فوضَعَ قَلَنْسُوته فإذا هو أصلع ، فقال يآبنةَ الفَرافصَة ؛ لا يَهُولَنّك ما تَرَيْن من صَلْعَتى ، فإن وراءَ ذَلِكَ ما تُحبين !

قالت : إنى لمن نِسْوَةٍ أحبّ بعولَتِهنّ إليهن الكُهُولُ الصُّلْع ؛ فقال : آطْرحى دِرْعَك ، ثم قال : اطْرحى إزارك !

قالت : ذاكَ إليكَ ، ومسح رأسَها ، ودعا لها بالبركة ، فكانت أحَبَّ نسائه إليه ، وولدت منه جارية يقال لها : مريم .

□ لماذا أعرضت خَنْسَاءُ بنتُ عمرو عن دُرَيْد بن الصِّمّة ؟! :

ابن الكلبى قال : خطب دُرَيْد بن الصِّمّة خنساءَ بنت عمرو ، فبعثت جاريتها فقالت : انظرى إذا بال أيُقْعِى أم يبعثر[١٧]؟! فقالت لها الجارية : هو يبعثر ؛ فقالت : لا حاجةَ لى فيه !!

□ يقلدها نعليه فى الليلة الأولى ! :

الأصمعىّ قال : تزوج رجل امرأةً بالمدينة فقالوا له :

إنها شابّة طريّة ، من أمْرِها ومن أمْرِها ، ويدلّسُون له عجوزًا ، فلما دخل بها نزع نعليه ، وهم يظنون أنّهُ يَضْرِبُها ، فقلدها إياهما ، وقال :

هذه بدنة[١٨]!!

فأسكتوه وافتدَوْا منه !

---

(١٦) السّمَاوة : موضع بين الكوفة والشام . وهى بريّة معروفة .

(١٧) الإقعاء : أن يلصق الرجل أليته بالأرض وينصب ساقيه وفخذيه ويضع يديه على الأرض كما يقعى الكلب . ويبعثره : يفرقه . وذلك من علامات الضعف .

(١٨) البدنة : الناقة أو البقرة تنحر بمكة قربانًا ، وكانوا يسمنونها لذلك . والقلادة : ما يجعل فى العنق من حَلْى ونحوه . وقلّد البدنة : علق فى عنقها شيئاً ليعلم أنها هدى . وكانوا يعلقون فى رقبتها نعلاً تميز عن غيرها .

□ شباب المرأة .. ومتى يتخلى عنها ؟ :

عن عبد الله بن محمد بن عمران القاضى عن أبيه قال :

- شباب المرأة من خمسَ عشرةَ سنةً إلى ثلاثين سنة .
- وفيها من الثلاثين إلى الأربعين مُسْتَمْتَع .
- وإذا اقتحمت العقبة الأخرى حَسَلَتْ[١٩].

□ يبيع إبله ليتزوج بها فإذا هى عجوز ! :

تزوج جهمٌ امرأةً من بنى فَقْعَس ، وباع إبلاً له ومَهَرها ، فلما دخل بها إذا هى عجوز ؛ فقال :

ومَالُمْتُ نفسى مُذْ فُطِمْتُ بلَحْيَةِ[٢٠] كما لُمتُ نفسى فى عَجُوزِ بنى شَمْسِ
وبِنْتُ[٢١] ولم أُغْبَنْ غداةَ اشتريتُها وبعت تِلادَ المالِ بالثمنِ البَخْسِ[٢٢]
فإن مات جهمٌ غيلةً فاقتلوا به قُمَامةَ إن النفسَ تُقْتَل بالنفسِ

□ أجمل ما قيل فى الشيب والشباب ! :

وقال بعض الشعراء :

كفاكَ بالشّيبِ ذنْبًا عند غَانِيةٍ وبالشبابِ شفيعًا أيها الرجـلُ

□ أجمل حوار بين أم وابنتها حول من تختار ؟! :

خَطَبَ الحارثُ بن سليل الأسَدِىّ إلى علقمةَ بن خَصَفَةَ الطائىّ – وكان شيخًا – فقال لِأُمِّ الجارية : أُريدى ابنتك[٢٣] على نفسها ، فقالت :

أَىْ بُنَيّة ؛ أَىُّ الرجالِ أَحبُّ إليك :

الكهلُ الجَحْجَاح ، الواصِلُ المنّاح[٢٤]، أَمِ الفَتَى الوَضّاح ، الذَّهُول الطّمّاح[٢٥]؟!

---

(١٩) حسلت : رذلت . والحُسَالة : الرِّذْل من كل شىء ، ويقال : هو من حُسالة الناس : أسافلهم .
(٢٠) يقال : لحاه : لامه وعابَهُ . واللَّحية : المرّة من اللَّحى .
(٢١) من البينونة وهى الفراق .
(٢٢) تلاد المال : ما آل إليه بالميراث ، وما توالد عنه . وغيلةً : أُخِذ من حيث لا يدرى فهلك .
(٢٣) يقال : أراده على الأمر حمله عليه . وغلبه على رأيه .
(٢٤) الكهل : من جاوز الثلاثين إلى الخمسين والجحجاح : الكريم السباق إلى المكارم . الواصل بالعطاء المنّاح كثير المنح والعطايا .
(٢٥) الوَضّاح : الحسن الوجه البسّام والأبيض اللون . الذَّهول : المتدلّه . الطمّاح : الكثير الطموح ، وذو الطرف البعيد المرتفع .

قالت : يا أُمّتاهْ

إن الفتـاةَ تُـحِبُّ الفتـى كُحُبِّ الرِّعاءِ أنيق الكَـلاَ

فقالت : يا بنية ، إن الشباب شديد الحجاب ، كثير العتاب !

قالت : يا أُمّتاه ، أخشى من الشيخ أن يُدَنِّسَ ثيابى ، ويُبْلِىَ شبابى ، ويُشْمِتَ بى أترابى !

فلم تزل بها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوج بها الحارث ، ثم رحل بها إلى قومه ؛ فإنه لجالس ذات يوم بفناء مِظَلَّتِه وهى إلى جانبه ، إذْ أقبل شباب من بنى أسد يعتلجون[٢٦]، فتنفست ، ثم بكت ؛ فقال لها : ما يبكيك ؟!

قالت : مالى وللشيوخ الناهضين كالفُروخ[٢٧]!

فقال : ثَكِلَتْكِ أمُّك « تجوع الحرة ولا تأكل بثديَيْها » - فذهبت مثلاً -. أما وأبيك لرُبّ غارةٍ شهدْتُها ، وسَبِيّةٍ أردفْتُها[٢٨]، فَالْحَقِى بأهلك ، لا حاجةَ لى فيك ! .

□ الله أجلُّ فى عينى ، وأنت أهْوَنُ علىّ ! :

الرّياشىّ قال : خرج رجلٌ إلى الغزو فأصَاب جاريةً وضيئةً ، وكان يغزو على فرسه ، ويرجع إليها ، فوجد يومًا فضلاً[٢٩] من القول فقال :

ألاَ لا أبالى اليوم ما فعلَتْ هِنْدُ إذا بقيت عندى الحمامة[٣٠] والوَرْدُ

شديدُ مَنَاطِ المَنْكِبَيْن إذَا جَرَى وبيضاءُ صِنْهاجِيَّةٌ زانها العِقْدُ

فهـذَا لِأَيّـام الحروبِ وهـذه لحاجةِ نفسى حين يَنْصرِفُ الجُنْدُ

فنُمِىَ الشعرُ إليها فقالت :

ألا أُقْرِه منى السلامَ وقُلْ لـه غَنِينَا وأغنتـا غَطَارِفَـةُ المُـرْدِ[٣١]

بحمـدِ أميـرِ المؤمـنين أُقَرّهـم شبابًا وأغزاكم حواقِلَة الجُنْـدِ[٣٢]

---

(٢٦) يعتلجون : يتصارعون .

(٢٧) الفروخ : كل صغير من الحيوان والنبات والشجر فهو فى حالة ضعف ولا تقوى رجلاه على حمله .

(٢٨) حملتها خلفى بعد أن أسرتها .

(٢٩) وجد نفسه بحاجة إلى أن يعبر عن مشاعره وعواطفه وتجربته الشعورية .

(٣٠) جاء فى المحاسن والأضداد « الجمانة » بدلاً من الحمامة ويقصد جاريته . والوَرْدُ من الخيل : ما بين الكميت والأشقر . ويريد فرسه .

(٣١) الغطارفة : جمع غطريف وهو السيد الشريف والفتى الجميل الكريم .

(٣٢) حواقلة : جمع حوقل وهو الرجل المسن .

إذا شئتُ غنانى رِفَلٌ مُرَجَّلٌ ونازعنى فى ماءِ مُعْتَصَرٍ وَرْدِ[٣٣]
وإن شاء منكم ناشىء قدّ كفّه على كَتِدٍ مَلْسَاءَ أو كَفَلٍ نَهْدِ[٣٤]
فما كنتُمُ تَقْضُون حاجةَ أهلِكم شُهودًا فتقضُوهَا على النَّأْىِ والبُعْدِ

فلما بلغه الشعر أتاها ، وقال :
أكنت فاعلة ؟ فقالت : اللهُ أجلُّ فى عينى ، وأنت أهوَنُ علىّ !

□ بكاء العرب على الشباب ! :

قال أبو عمرو بن العلاء : ما بكت العربُ شيئاً ما بكتِ الشباب ، وما بلغت ما هو أهلُه .

□ مات المصلح ؛ فوا أسفَىٰ عليه ! :

كان لبعض الأعراب امرأةٌ لا تزال تُشَارُّه[٣٥]، وقد كان أسَنَّ وامتنع من النكاح ، فقال له رجل :
ما يُصْلَحُ بينكما أبداً ؟ فقال : لا !، إنه قد مات الذى كان يصلح بيننا (يعنى ذَكَرَه) .

□ الْتمس غيرها ! :

قال رجل لصديق :
أعَنَّسْتَ نفسَك حتى إذا أتيتَ على الخمسِ والأربعينا
تزوجتَها شارفًا فخمةً[٣٦] فلا بالرِّفاء ولا بالبَنينا
فلا ذاتُ مالٍ تزوجتَها ولا ولدٌ تَرْتجِى أن يكونا
بها أبدًا فالتمِسْ غيرها لعَلّك تُعْطَى بِغَثٍّ ثَمِينَا

□ ممّ كان يخاف أنو شِروان ؟ :

قال أنو شروان : كنت أخاف إذا أنا شِخْتُ لا تُرِيدنى النساء ، فإذا أنا لا أريدُهن !

---

(٣٣) الرِّفَل : الطويل الذيل . والمرَجّل : مُسَرّح الشعر .
(٣٤) الكَتِد : مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس . والكَفَل : العَجُز للإنسان والدابة . ونهد : بارز .
(٣٥) تُشَارّه : تخاصمه وتعاديه ، وتبادره بالأذى .
(٣٦) شارفاً : مسنة هرمة . والفخمة : العيلة الضخمة .

□ العجوز وضجيعُها ! :

قال أعرابىّ :

إن العجوزَ فارِكٌ[٣٧] ضجيعَها ... تسيلُ من غير بُكًى دُموعُها
تُمَدِّد الوَجْهَ فلا يُطيعُها ... كأن من يُضيفُها يُضيعُها

□ قالوا فى الشيب والخضاب :

● وقال أبو النجم :

قد زعَمَتْ أُمُّ الخيارِ أنّى ... شِبْتُ وحَنَّى ظَهْرِىَ المحَنِّى
وأعْرَضَتْ فِعْلَ الشَّموسِ عَنّى ... فقلت : ما داؤك إلا سِنِّى
• لن تجمَعِى وُدِّى وأن تَضِنِّى •

● قال يزيد بن الحكم بن أبى العاص :

فما منك الشبابُ ولَسْتَ منه ... إذا سَأَلْتَك لحيتُك الخِضَابَا
وما يرجو الكبيرُ من الغوانى ... إذا ذَهَبَتْ شبيبتُه وشابا ؟!

● وقال آخر :

[.....][٣٨] فالغوانى ... نوافيرُ عن مُلاَحظةِ القتيرِ[٣٩]
فقلت لها : المشيبُ نذيرُ عمرى ... ولَسْتُ مُسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ

● وقال أسود بن دُهيم :

لما رأيتُ الشيبَ عيبَ بياضُه ... تَشَيَّبْتُ وابتعتُ الشَّبَابَ بِدِرْهم

● وقال محمود الوراق :

يا خاضبَ الشَّيْبِ الذى ... فى كل ثانيةٍ يعود
إن النُّصُولَ إذا بدا ... فكأنه شيبٌ جديدُ[٤٠]
وله بديهةُ روعةٍ ... مكروهُها أبداً عَتِيدُ
فَدَعِ المشيبَ كما أرا ... دَ فلن يعودَ كما تريدُ

● أنشد ابن الأعْرابى :

ولقد أقول لشَيْبَةٍ أبصرتُها ... فى مَفْرِق فمنَحْتُها إعراضِى
عَنّى إليك فلستِ مِنْ خيرٍ وَلَوْ ... عَمَّمْتُ منك مفارق بياض

---

(٣٧) الفارك : الكاره المبغض . وأكثر ما يستعمل فى بغضة الزوجين .
(٣٨) بياض بالأصل . ولعله : وقائلة : خضّب الشيّبَ فالغوانى . أو سَوّد الشعر إلخ .
(٣٩) القتير : الشيب . أو هو أول ما يبدو منه . (٤٠) النصول : خروج اللحية من الخضاب .

ونَقَلَّمَا أرتاعُ منك وإننى ... فيما أَلَذّ وإن فزعت لَمَاضِى
فعليكِ ما اسْطَعْتِ الظهورَ بلمّتى ... وعَلَىّ أن ألقاكِ بالمِقْرَاضِ[41]

● وقال الفرزدق :

تفاريقُ شَيْبٍ فى السَّوَادِ لوامعٌ ... وما خيرُ ليلٍ ليس فيه نجومٌ

● وقال غيلانُ بن سَلَمة :

الشيبُ إن يظهر فإن وراءَه ... عُمْرًا يكون خِلالَه مُتَنَفّسُ
لم ينتقِصْ منى المشيبُ قُلاَمةً ... ولَنَحْنُ حين بَكا ألَبُّ وأَكْيَسُ[42]

● وقال الطائى :

أَبْدَتْ أسًى أن رَأَتْنِى مُخْلِسَ القَصَبِ ... وآل مَا كان من عُجْبٍ إلى عَجَبِ[43]
لا تُنْكرى منه تخديدًا تخَلَّلَهُ ... فالسيفُ لا يُزْدَرَى أَنْ كان ذا شُطَبِ[44]
ولا يُؤَرِّقْكِ إيماضُ القتيرِ بـه ... فإن ذاك ابتسامُ الرأى والأَدَبِ[45]

● وقال آخر :

يقولون : هل بعد الثلاثين مَلْعَبٌ ؟ ... فقلت : وهل قبل الثلاثين مَلْعَب ؟!
لقد جَلّ قدرُ الشّيب أن كان كُلّمَا ... بدَت شيبةٌ يَعْرَىٰ من اللهو مَرْكبُ

(٤١) اللّمّة : شعر الرأس المجاور شحمة الأذن . والمِقراض : المِقَص .
(٤٢) قُلامة : ما قطع من طرف الظفر . والمراد : أن المشيب لم ينتقص منه أقل القليل ! بل على العكس فإننا نزداد لُبًّا وكياسة .
(٤٣) القصب : جمع قصبة ، وهى خصلة ملتوية من الشعر . ويقال : أخلس رأسه فهو مخلس : إذا كان فيه بياض وسواد .
(٤٤) التخديد : الهُزال ، والشُّطَب : الطرائق التى تلمع من شدة جريان مائه وصفاء فرنده .
(٤٥) إيماض القتير : لمعان الشيب وبريقه .